أبو العباس المقّري التلمساني

وكتابه الفريد

روضة الآس العاطرة الأنفاس

في ذكر

من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس

منذ انسعت آفاق البحث أمام الباحثين في التاريخ العلمي والأدبي لبلاد الأندلس وأقطار المغرب العربي لم يجدوا مرجعاً لهم يعتمدون عليه كل الاعتماد أوفى من أبي العباس المقّري وكتابيه العظيمين: نفح الطيب، وأزهار الرياض، فقد شاءت عارضة هذا الإمام الضليع من الأخبار والآثار، الريان من العلم والأدب، أن يجعل من شخصية وزير غرناطة ودفين فاس، لسان الدين ابن الخطيب (٧١٣هـ - ٧٧٦هـ) محوراً لموسوعة كبرى عن الأندلس وغابر ثقافتها وحضارتها وتاريخها، وان يجعل من شخصية عالم سبتة ودفين مراكش القاضي عياض (٤٧٦هـ - ٥٤٤هـ) محوراً لموسوعة أخرى لا تقل عن سابقتها أهمية وفائدة في المباحث الأندلسية والمغربية.

وكان إعجاب الباحثين بالموسوعتين لا يقل عن إعجابهم بمؤلفهما العظيم، فراحوا ينقبون عن ترجمته وشخصيته وثقافته وآثاره الأخرى التي لم تشتهر اشتهار «النفح» و«أزهار الرياض».

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن حسن حظ المقري أن حياته العلمية والأدبية توزعتها كل من تلمسان ، وفاس ، ومراكش ، والمدينة ، والقاهرة ، والقدس ، ودمشق ، فترك في كل منها خبراً أو أثراً أو تلميذاً أو شيخاً أو صديقاً يروي للناس حديثه .

ومن حسن حظ المقري أيضاً أنه لم يُعرَفْ في عصره بلون واحد من ألوان العلم والثقافة لتبقى أخباره محفوظة عند طائفة من الناس ، بل إنه كان حافظاً للحديث ثقة في روايته ، مفتياً في الفقه متضلعاً من فروعه وأصوله ، عارفاً وقدوةً في علم التوحيد ومشكل العقائد ، خطيباً مدرساً ، وأخيراً أديباً ومؤرخاً من أعلى طراز .

فلهذا نجد له صدى عميقاً عند المهتمين برواية الحديث وفروع الفقه والفتوى بالإضافة الى المؤرخين والأدباء في المشرق والمغرب . فهذا يصل سنده في الحديث بالمقري ، وهذا ينسب له فتوى في الفقه ، وهذا ينقل عن كتاب من كتبه المتنوعة .

لكن هذا الاهتمام « الذهبي » بشخصية المقري والخطوط البارزة في ترجمته لم يمنع من أن تنال بعض آثاره حظها من الإهمال والتبعثر إن لم نقل الضياع !

وهذا ما يقال بالذات عن أثر فريد من آثار المقري وهو كتاب « روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس » فقد ظل هذا الكتاب قريباً من ثلاثة قرون لا تراه عين ، ولا تصل اليه يد ، حتى يئس من العثور عليه الباحثون ، واطمأنوا الى دخوله في خبر ليسَ !

ولكن الأيام أبت إلا أن تفاجئنا بالعثور على هذه الذخيرة النفيسة في نسختها الأولى الأصلية التي كتبتها يدُ المؤلف قبل أن تتاح له فرصة إخراجها في صيغتها النهائية .

وقد عُثر على هذه النسخة الوحيدة « حتى الآن » ضمن ذخائر الخزانة الملكية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالقصر الملكي بمدينة فاس ؛ ثم طبعت في سلسلة مطبوعات القصر الملكي بعناية وتصحيح المؤرخ الباحث الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور .

وكان صدور هذا الكتاب فرصة مناسبة لحديث عن المقري وما جد من من معلومات عن شخصيته وآثاره ، مع إعطاء فكرة عن الكتاب وأهميته في عالم البحث عن تاريخ الأدب العربي بالمغرب في القرن الحادي عشر الهجري على عهد دولة السعديين .

عصر المقري ونشأته الأولى :

عرف المغرب العربي إثر انهيار الوحدات الثلاث : دولة المرينيين في فاس ، ودولة بني عبد الواد في تلمسان ، ودولة الحفصيين في تونس ، أهوالاً داخلية دكت صروح المجد والحضارة والثقافة . وتبعتها فواجع الهجمات الصليبية التي شنها شارل الخامس ملك اسبانيا وعدو السلطان العثماني سليمان الثاني ، وابنه فليب الثاني عدو السلطان سليم على طول الساحل الممتد من طرابلس الى وهران : تساندهما في نفس الوقت هجمات دولة البرتغال على الساحل المغربي من ثغر طنجة الى أكادير .

كما عرف المغرب العربي في العصر نفسه الفصول الأخيرة من مأساة المهاجرين الأندلسيين الذين لجأوا الى أمصار الأقطار الثلاثة واندمجوا في حياتها العامة وكأنهم كانوا لقاحاً جديداً دبّ مفعوله في مرافق الحياة العادية والأدبية ، وطبع بعض المدن بطابع له أثره المعروف الى الآن .

ومن أجل ذلك ظلت فاس وتلمسان وتونس وغيرها موصولة السند في عاداتها ، وصناعاتها ، وحياتها العلمية والأدبية والعمرانية بالأندلس والأندلسيين ، وظلت أجيالها تتوارث هذا التراث .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي غمرة الأحداث المتتالية استطاع العثمانيون أن يثبتوا أقدامهم في تونس والقطر الجزائري ، وأن يطردوا الإسبان ومن حالفهم من الأمراء المتوثبين ، كما أن دولة السعديين استطاعت أن تملك زمام السياسة والقيادة في المغرب الأقصى ، أن تجرد الأمل ، وتبعث الماضي ، حتى أصبح بلاطها كعبة رجال العلم والأدب من كل قطر من أقطار الإسلام ، لا سيما بعد فتوحات المنصور الذهبي وانتصاراته المتوالية في كل ميدان .

والفرق واضح بين عمل الأتراك في تونس والجزائر وعمل السعديين في المغرب ، كما أن الفرق واضح بين ما تصادفه اللغة والأدب والعلوم بوجه عام من عقبات وأشواك على يد حكام لا يمتون اليها بصلة ، وبين ما تجده عند دولة عربية احتضنت تراث العرب ورفعت شأن حامليه من شعراء وكتاب وعلماء ومؤرخين .

في هذا العصر ولد أبو العباس أحمد بن محمد المقري بمدينة تلمسان من أسرة عرفت بثروتها وجاهها وعلمها في هذه المدينة منذ انتقل اليها جدها في القرن السادس الهجري من مَقْرَةَ أو مَقَّرَةَ (١) صحبة الشيخ الصوفي أبي مدين الشهير ، وكان ميلاد أبي العباس سنة ٩٨٦ هـ (٢) ، . وقد اقترن هذا التاريخ بالحادث العظيم في المغرب وهو الانتصار الذي حققه السعديون في معركة وادي المخازن على جيش البرتغال بقيادة سباستيان ، وتسمى عند المؤرخين الأوربيين : « Bataille des Trois Rois » .

---

(١) من قرى الجنوب الجزائري قرب قلعة بني حماد والخلاف في ضبط قافها شهير ، والجاري على الألسنة السكون .

(٢) لم نجد النص على ميلاد المقري الا في بعض المخطوطات الخاصة التي يظن بأصحابها الضبط . وقد تعزز ذلك بما عند صاحب كتاب تاريخ الجزائر العام المطبوع بالجزائر سنة ١٩٥٥ م ، وما كتبه الأستاذ المصحح في مقدمة « روضة الآس » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد كانت نشأته نشأة الصيانة في الخلق ، والجد في الدرس ، والسباق الى المجد العلمي ، والنبوغ الأدبي ، ووجد في عمه سعيد عالم تلمسان ومفتيها نعم الأستاذ الموجه ، والقدوة المربي ، فتعهده بفنون من العلم ، وألوان من الثقافة طبعته منذ النشأة الأولى بطابع المعين الذي لا ينضب ، والفيض الذي لا يغيض .

وكما رحل العم الى فاس لطلب العلم في صباه ، وربط بأعلامها صلة متينة متجددة على مر الأيام ، كذلك رحل ابن أخيه الى هذه المدينة التي احتفظت جامعتها ومدارسها وخزائن كتبها بما لم يحتفظ به غيرها من تراث العلوم الإسلامية في ذلك العصر .

وصل صاحبنا الى فاس سنة ١٠٠٩ هـ وهو في الثالثة والعشرين من عمره وقد بدت مواهبه تتفتح عن الذكاء المتقد ، والفهم الواسع ، والطموح المغري ، فحضر المجالس العلمية يفيد ويستفيد ، ونال مكانة مرموقة ، فأجازه أقطاب العلم ، ورأوا فيه ما يبشر بالتفوق والنبوغ ، ولم يلبث أحد قواد السلطان أحمد المنصور الذهبي ملك المغرب ، إذ ذاك أن تعرف بهذا الشاب ، ورأى نبوغه المبكر فرأى أن يصحبه الى العاصمة مراكش ليلتحق ببلاط المنصور الذي كان حريصاً على أن يضم مجلسه أكبر عدد من رجال العلم والأدب يستعين ، يسترشد بهم في مهامه ومشاريعه المتعددة في العلم والسياسة .

وفي مراكش عاصمة السعديين فتح الشاب النابغة عينيه على عظمة دولة المنصور الذهبي ببلاطها وقصورها وجيوشها وحفلاتها ومجالسها العلمية التي كان المنصور يترأسها ويبدئ ويعيد في الجدال والمناقشة لآراء العلماء في جميع القضايا المطروحة على بساط الدرس ، كما سمع قصائد شعراء الدولة الذين أشادوا بفتوحات المنصور ومؤسساته الحربية والعمرانية ولا سيما قصر « البديع » الذي كان وما يزال عنوان طابع الدولة السعدية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي مراكش تعرف بأقطاب العلم والأدب داخل مجلس المنصور وخارجه ، واستفاد وأفاد ، مما جعله يفكر في كتابة مؤلف يجمع فيه ما استقر بذاكرته من أخبارهم وآثارهم العلمية والأدبية بالإضافة الى ما استقر بذاكرته عن أعلام فاس وعلمائها الذين فتحوا صدورهم لاستقبال نابغة تلمسان .

وحيث أن هؤلاء الأعلام ، سواء منهم من لازم مجلس المنصور في العاصمة ، ومن بقي منهم في مدينة فاس ، ينعمون في ظلال ما أغدقه عليهم هذا الملك العظيم من صلات ومرتبات وجوائز سنية في كل مناسبة ، فقد أراد المقري أن يتوج كتابه بفصول يصف فيها دولته ومجالسه ونبوغه في العلم والأدب ، وما قيل فيه من شعر ونثر ، وما ألفه من كتب .

ولهذا اختار لمؤلفه هذا العنوان : «روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس» .

ورجع المقري من مراكش وقد اختمرت في ذهنه فكرتان :

الأولى الإقامة بالمغرب في ظلال دولته العظيمة .

والثانية تأليف كتاب الروضة وإهداؤه الى خزانة المنصور .

أما التوقيت الزمني الذي تمت فيه رحلة المقري الى هاتين الحاضرتين والمأخوذ من كتاب المقري نفسه فهو كما يلي :

(١) في ٤ من صفر عام ١٠٠٩ هـ وصل الى فاس .

(٢) في رمضان كان بمراكش يزور معالمها .

(٣) في شهر ربيع الأول عام ١٠١٠ هـ حضر حفلات المولد النبوي بحضرة المنصور .

(٤) في ١٥ من ربيع الثاني من السنة نفسها غادر مراكش الى فاس .

(٥) في ١٧ من ذي القعدة غادر فاساً الى تلمسان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهكذا أقام بالمغرب أقل من سنتين عرف فيهما ما يجب أن يعرفه إنسان في مثل سنه وثقافته وطموحه، يريد أن يفارق وطنه الى آخر يجد فيه ما يصبو اليه من أسباب العيش وطمأنينة النفس وفرص المجد والجاه .

ومكث في تلمسان يهيئ الأسباب في شوق الى تحقيق مشروعه الذي خططه لنفسه، ويكتب مؤلفه روضة الآس . وكلما ذكر المنصور دعا له بطول العمر، ودوام العز والنصر، وتمنى لقاءه .

ولكن الأقدار أبت إلا أن يموت المنصور في ربيع الأول من سنة ١٠١٢ هـ فلم يثن ذلك النبأ المقري عن عزيمته، ولم يحل دون إرادته، ووصل الى مدينة فاس بقصد التوطن بها في جوار أعلامها ومدارسها وخزائن كتبها وجامعتها الكبرى .

المقري في فاس :

رجع المقري الى فاس مرة ثانية سنة ١٠١٣ هـ وهو يحمل لها ولعلمائها وأدبائها كامل التقدير والإكبار، كما أن هؤلاء عرفوا فيه النابغة المتبحر والعالم الواسع الأفق والأديب الضليع .

ورغم أن الجو السياسي في المغرب على العموم أخذ يكفهر بعد موت المنصور بسبب مطامع أبنائه في الاستئثار بالعرش، وقيام الحروب بينهم هنا وهناك، ورغم أن نبغاء الفكر الأدبي الذين اجتمعوا في بلاط الملك الراحل قد عصفت بهم العواصف السياسية، وتوزعتهم مصالح المتصارعين حول العرش، وفقد كثير منهم جاهه ومكانته في الدولة، فإن ذلك لم يحل دون الازدهار العلمي في مدينة فاس، ولم يثن العلماء عن التدريس والتأليف والبحث والمناظرة، فوجد المقري ضالته المنشودة يدرس ويؤلف ويبحث ويفتي ويسهم في الحياة العلمية والأدبية بوصل السند وربط الصلة وأخذ الإجازة من شيوخ العلم ومنحها لشبابه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

لكن الفراغ الذي أحدثه موت المنصور صار بالمغرب نحو أهوال وفواجع داخلية وخارجية قسمت البلاد بين الأمراء السعديين وغيرهم من المتغلبين ، وأباحت حمى ثغورها لهجمات الإسبان المتربصين .

وجاءت قضية « العرائش » التي أراد فيها الأمير السعدي المأمون الملقب بالشيخ أن يجبر علماء الشريعة على الفتوى بجواز تسليم هذا الثغر المغربي الى اسبانيا لتسلم له ما عندها من رهائن فيها أولاده ؛ فكان ذلك إحراجاً لرجال العلم والدين أوقعهم فيه هذا الطائش المفلس ؛ فتجرأ بعضهم وأرضى ضميره بالفتوى بمنع هذا التسليم ، وتحدى بذلك إرادة الأمير فأمر بقتله .

ووافق بعضهم إرادة الأمير فأهانه الشعب أو قتله .

وتملص فريق ثالث من الفتوى بالفرار من فاس الى البوادي والجبال ، أو الاختفاء في مكان مجهول .

فماذا كان موقف المقري من هذه الفتنة العمياء ؟ يمدنا نصوص مخطوطة ومطبوعة عن موقف كثير من العلماء الذين امتحنوا بالفتوى في هذه القضية . وبخصوص موقف ابي العباس المقري يمدنا نص صاحب « الاستقصاء » الذي يقول :

« وقد فر جماعة من تلك الفتوى كالإمام أبي عبد الله محمد الجنان صاحب الطرر على المختصر ، وكالإمام أبي العباس أحمد المقري مؤلف نفح الطيب فاختفيا مدة استبراء لدينهما حتى صدرت الفتوى من غيرهما »[1] .

وصرع الأمير السعدي قريباً من مدينة تطوان سنة ١٠٢٣ هـ[2] . ولكن ذلك لم يجعل حداً للمحن والأهوال ، بل ان الجو السياسي لم يعرف استقراراً ولا

(١) انظر الاستقصا ج ٦ ص ٢٢ ، دار الكتاب .
(٢) انظر المصدر السابق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة
www.alukah.net

هدوءاً ، فظلت المدن الكبرى ولا سيما فاس ومراكش تشاهد الانقلابات وما يعقبها من حوادث الانتقام والفتنة .

وقد شاهدنا المقري يتخذ موقفه من قضية المرابطين بالاختفاء حتى تمر العاصفة فلهذا يمكننا أن نقول إن أمل المقري قد خاب في الحصول على منصب سام في بلاط دولة انتثر عقدها ، وحفت الأخطار بكل من يتولى منصباً فيها . فلهذا عكف على دروسه وكتبه وأوراقه قانعاً بما ناله من تقدير في تقديس أهل العلم والأدب وطلبتهما . وفي تلك الفترة كان يكتب مؤلفه «أزهار الرياض» ويجمع مواده من عدة كتب أندلسية ومغربية .

ونستطيع أن نعرف الصدمة النفسية التي كان المقري يعانيها في فاس أيام الأزمة السياسية من مقدمة الكتاب «أزهار الرياض» ، فهو يشكو الغربة والأهوال ، ويعزي نفسه حيناً بالجو العلمي الذي يعيش فيه ، وحيناً بجمال فاس ومناظرها ومظاهر حضارتها .

وفي سنة ١٠٢٢ هـ نجد المقري متولياً الخطابة والإمامة والفتوى بالقرويين ، فمن ولاه هذه الوظيفة ؟

إن فاساً في هذه الظروف تعيش في فوضى . فالشيخ خرج طريداً وصرع قريباً من تطوان ؛ وابنه عبد الله حاول الاستبداد بفاس لكنه غلب على أمره بسبب قيام زعماء الشعب ، وفيهم سليمان الزرهوني والمربوع ، بأخذ السلطة وقيادة الجماهير والسهر على الأمن والنظام (١) .

فهل كان المقري في صف الثوار ؟ وهل تولى خطته السامية بإرادتهم ؟ الواقع أن خطة المقري وسلوكه كانا بعيدين عن الثورة فلهذا لا نشك أن

(١) المصدر السابق مع نشر المثاني للقادري .

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وظيفته كانت بإرادة الأمير عبد الله بن الشيخ رغم أنه كان مغلوبا على أمره والدليل على ذلك :

(١) أن المقري لم يخرج من فاس مهاجراً الى الشرق وقاصداً بيت الله الحرام سنة ١٠٢٧ هـ إلا بعد أن اتهم بالميل الى «شراقة» وهؤلاء هم جيش متكون من أهل المغرب الشرقي الذين كان الأمير عبد الله يعتمد عليهم كل الاعتماد في قمع ثورة زعماء الشعب .

(٢) أن المقري أخذ اذن الأمير عبد الله قبل أن يترك «المنصب والأهل والوطن والإلف» على حد تعبيره .

المقري في الشرق :

في رمضان سنة ١٠٢٧ ودع المقري المغرب لأداء فريضة الحج واستيطان بلاد يجد فيها الاستقرار الذي ينشده ، فيقصد الحجاز معرجاً على القاهرة ، ويحضر موسم الحج مرات متعددة ويؤلف هناك عدة كتب اشتهر أمرها بين الناس وذاعت نسخها في جميع الأقطار الإسلامية في حياة المؤلف وبعدها .

وقد نال المقري شهرة واسعة في عواصم الشرق التي زارها ومكث بها مدة . وكان حفظه ونبوغه مثار إعجاب العلماء في القاهرة والقدس ودمشق ، وقدروا فيه سعة العارضة ، وغزارة المعرفة ، وتنوع الثقافة ، فأجاز واستجاز وربط الأسانيد على القاعدة المعروفة في ذلك العصر .

ولا نطيل الحديث عن حياة المقري في الشرق فالمعروف أن معاصريه هناك كتبوا عنه الشيء الكثير .

وهذا الشهاب الخفاجي في «الريحانة» بعد أن ترجم له تلهف أشد التلهف حيث أن المنية حالت دون اجتماعه به وقال [١] :

---

(١) الريحانة ص ٢٢٢ .

« وجاءني بنعيه من كنت أرجوه بشير التهاني » وودع المقري هذه الحياة بالقاهرة سنة ١٠٤١ هـ بعد أن ترك هذا التراث العظيم .

كتاب روضه الآس :

بهرت دولة المنصور الذهبي أبا العباس المقري ، كما أن شخصية هذا الملك العظيم أثارت إعجابة وتقديره . وشاهد نفاد سوق العلم والأدب في مراكش وفاس ، واطلع على ما ألف من كتب برسم خزانة الدولة ، فحفزه هذا كله الى تأليف هذا الكتاب في الفترة التي قضاها بتلمسان مستعداً لرحلته الى المغرب والالحاق ببلاط المنصور بتلهف وشوق ، قال :

« نسأل الله أن يزعجنا عاجلاً الى حضرته المقدسة الطاهرة من أدناس الجور والحيف ... »

والكتاب يشتمل على قسمين :

الأول ما يتعلق بحياة المنصور ودولته ومآثره ومؤسساته .

والثاني ما يتعلق بالعلماء والشعراء الذين اتصل بهم وعددهم ٣٤ ، وقد أراد المقري بقسمه الأول من الكتاب أن يسير على سنن شاعر الدولة أبي فارس عبد العزيز القشتالي الذي ألف كتاب : « مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا » ، ومؤرخ الدولة أبي العباس ابن القاضي الذي ألف كتاب « المنتقى المقصور على مآثر الخليفة أبي العباس المنصور » ، وكاتب الدولة ابن عيسى الذي ألف كتاب « الممدود والمقصور » .

والنسخة التي عثر عليها من الكتاب ليس فيها من هذا القسم إلا جزء يسير يتعلق بمآثر المنصور وحفلاته ومؤلفاته وأشياخه . ومع ذلك فما بقي لنا من هذا

شبكة الألوكة www.alukah.net
هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القسم يحتوي على معلومات قيمة نادرة عن ذلك العصر الذهبي كتبها شاهد عيان . ويلاحظ الأستاذ المصحح أن المقري لم يعد النظر في كتابه مرة ثانية بسبب موت الملك الذي ألف له الكتاب فظل في « مسودته » مشروع كتاب لا كتاباً في صيغته النهائية ، حتى رحل المؤلف عن المغرب ، وتركه فيما ترك من كتب وأوراق ، الى أن استقر في الخزانة الملكية .

أما القسم الثاني من الكتاب فهو بيت القصيد كما يقولون فقد ترجم فيه المقري لأربعة وثلاثين من أعلام عصره الذين لقيهم واستفاد من علمهم وأدبهم وروى أخبارهم وأشعارهم وآثارهم .

وهؤلاء الأعلام قسمان :

منهم المشهورون كأبي العباس ابن القاضي ، والشيخ أحمد بابا السوداني ، والشيخ القصار ، والشاعر عبد العزيز القشتالي ، وأبي القاسم الوزير الغساني .

ومنهم المغمورون والمجهولون الذين لم يبق لنا من أخبارهم وآثارهم الا النزر الذي لا يكفي للحكم على علمهم أو أدبهم ، كالشاعر محمد بن علي الوجدي « الغماد » ، وعبد الرحمن الملج ، والحسن المسفيوي ، وأحمد الآيسي وغيرهم .

وكان عمل المقري بالنسبة لهؤلاء وأولئك عملاً مفيداً لأنه وسع معلوماتنا عن الطائفة الأولى ، وروى لنا مجموعات شعرية هي حتى الآن أوفى ما نملك من آثارهم ؛ كما أنه لم يبخل علينا بما استفاد من أخبارهم وآثارهم في ميدان التأليف .

أما الطائفة الثانية فقد نشرها من مرقدها بعد أن أخنى عليها الإهمال والنسيان ؛ وهذا عنصر الأهمية والفائدة في هذا الكتاب بالنسبة الى التاريخ العلمي والأدبي لدولة السعديين بالمغرب .

وفي الكتاب بالإضافة الى ذلك نظرات المقري الخاصة في الحياة المغربية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ذلك العصر وما فيها من عادات في الأفراح والمآتم وحياة الجد والهزل مما يكوّن مادة للدراسة والبحث عن ذلك العصر .

لكن يجب أن نلاحظ هنا أن كتاب روضة الآس ليس « فهرسة » لأبي العباس المقري ، ولهذا لا نستغرب اذا رأيناه يغفل كثيراً من أعلام فاس في هذه الحقبة وفيهم أشياخه الذين ذكروا في ترجمته وهم من الشهرة بحيث لا يمكن إغفالهم .

كما نلاحظ أن الكتاب وصلنا مبتور الأول والآخر ، وأنه كُتب في مدة وجيزة ولم يُعد مؤلفه النظر فيه مرة ثانية ، فلهذا نحنُ أمام كتاب لم يتم ، وأمام فائدة لا شك في أهميتها النسبية .

ولو وصلنا الكتاب بعد أن عمل فيه المقري عملاً جديداً حين استيطانه مدينة فاس لكنا إذ ذاك أمام معلومات بالغة درجة عالية في الأهمية .

ولكن رغم هذا كله فالكتاب أثر فريد من آثار أبي العباس المقري جدير بالدراسة والبحث .

أما عن طبع الكتاب وإخراجه الى عالم النور بعد طول هـذا الرقاد فإن ذلك حسنة من الحسنات ومبرة من المبرات نشكرها ونباركها ونرجو لها ما بعدها .

فاس (المغرب الأقصى)

عبد القادر زمامه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net